أبــو مــرهــف
(قصة)

أسامة الساحوري*

مُمسكاً بالمطرقة وُمعملاً الطرق على المسامير لتعديلها ، بسرعة البرق يأخذ قضيباً مُعوجاً ليرده الى جادة الصواب مُستقيماً مُعتدلاً ، لينقلها إلى علبة صغيرة مُنمقةٍ تبدو كالجديدة تماماً ، جالسٌ على حصيرة بالية ، ماداً يده الى قُلة الماء يرتشف منها الماء على جرعات ، يتمتم بكلمات تحمد الله على نعمه ، ارتفعت شمس الأصيل، فُتحت الزُوادةُ وأُخرجت منها كسرة خبز ُبللت بالشاي ومعها قطعة سنيورة اشتراها بقرشين ، أخذ يلتهم طعامه على مهل وملل داعياً زميله للمشاركة ، يستعرضان آخر المستجدات الراهنة ، البحثُ عن قطعة خبز في حقل جاف، هربُ الزوجة لبيت أهلها جوعاً ، لهفُ الأطفال لكرةٍ قماشية مُرتقةٍ يجرون فيها بمكان فسيح ، دوى تأنيب المدير حاثاً العمال على الإنتاج ، وارتفعت الأيادي عن الأطباق شبه الخاوية والبطون الخاوية ، ُسمع صوت الطرق على المعدن الّلين ُمحدِثا تكراراً رتيبا اعتادت الأذن على سماعه .

حلق سربٌ من طائرات العدو في الجو ، هرب نعيم مع سعيد من فندق القدس إلى عين الباشا، شاهدا الذعر على وجوه الناس ، هذا ترك أحد أولاده ، وذاك أحرق بيته قبل تركه للأوغاد على حسب قوله ، وكل عاد الى أهله من أجل ترتيبات الهروب أو القتال ، وعلى الأرجح الهروب .

مع وصول الهاربين ومن بينهم نعيم ، قرر الأهالي اللُجوء الى مكان آمن يتسع لهذا العدد الكبير من السكان ، وتم الاتفاق على مغارة أبي مرهف ،أدمى الشوكُ على باب المغارةِ الأرجل، كانت مُوحشَة ومُظلمَة من الداخل ، فيها آثارُ حياة باقية ورمادٌ ُمتناثرٌ هنا وهناك ، بالإضافة إلى بعض الأعشاب والنباتات التي لا تنمو إلا في هذا المكان ، جاذبةً إليها بعض الحيوانات الصغيرة .

مكثوا في المغارة ثلاثةَ أيام، افترشوا الأرضَ والتحفوا سماءاً مُغلقةً كالفولاذ.

الرجال يتداولون آخر الأخبار، يتناقشون شؤون الإقامةَ المُترفةِ، قوافلَ المُساعداتِ التي وُعدوا بقدومها في أقرب وقت، سرقةُ سُكان الصحراء لقُوت الشعوب، سعيُ طفل عارٍ للصعود إلى القمر حيث لا جوع .

النساءُ أضعن أوقاتهن بالعجن وإعداد الخبز، لاعنين التقاعس الذي أودى بهم إلى الحاجة، مُلقنين الأطفال تاريخنا العريقَ يوم كُنا... ليعودوا إلى إعداد الطعام في أوعيةٍ حديدية من طبقةٍ رقيقةٍ صَيّروها أفراناً دائمة .

عادت الأمورُ إلى سابقِ عهدها،الرجال لأعمالهم،النساءُ لثرثراتهنَ الدائمة حول أمورٍ تافهة،لعبُ الأطفال المشوب بشحنةِ ألمٍ دفينةٍ ورِثوها عن آبائهم.

الحنينُ يدفعُ بنعيم إلى العودة لأبي مِرهف لتذكر الأيام الثلاثة كُلما سمع طائرةً تُحَلِقُ في السماء.

يجلس على بابها مُسترجعاً الأيام الجميلة، تعلّق قلبهُ بهذه الصخرة الجوفاء الكبيرة،ألزم نفسه بالقدوم إلى هذا المكان كل يوم جمعة، يضحك ويبكي ويذكر وينسى .

يعبق المكان بعبير نباتات وأزهار لا تنمو إلا في هذه العتمة القاتلة .
يعود نعيم لتصحيح التواء المعدن لشركةٍ بجانب فندق القدس ،السماء امتلات بغيم يُنبىء بقادم عزيز طال انتظاره

---

* طالب – جامعة فيلادلفيا